**ورقة عمل بعنوان**

**اللغة والهوية بين طموحات وإندماجات المهاجرين الشرقية والمناهج التعليمية العربية**

**بقلم: تامر الملاح**

**باحث في مجال تكنولوجيا التعليم – مصر**

**محاور ورقة العمل:**

* **مقدمة.**
* **أسباب إتخاذ القرار بالهجرة إلى الغرب بين المشكلات والطموحات.**
* **التحديات بين اللغة والهوية.**
* **الإندماج بين سُبل الدعم وطموحات الشرقيين.**
* **المناهج التعليمية العربية.**
* **مقدمة.**

بنظرة يملئها الأمل وتعصرها المآسي، يترك الفرد وطنه وأهله وأسرته وما له وما عليه في أرضٍ قضى فيها جُل سنوات حياته، مما يجعله لا يُفكر في حجم التحديات التي تواجهه في المستقبل جراء إتخاذه لقرار الهجرة، والرحيل عن الأرض والوطن، فبقلب تحجر مما رأى، وبعزيمة قويت مما نالها، وبإرادة ترسخت مما أصابها.

تعددت الأسباب، وكثرت التحديات فما كان من فرد يسعى لحياة كريمة سوى أن يرحل باحثاً عن هدفه، ومحققاً لطموحاته، ولكن من الطبيعي أن لا يكون الطريق ممهداً، والسماء صافية، والجو شاعري، فيقابل الفرد إعوجاج الطرق، وأعاصير السماء، وتقلبات الأجواء كي يصل إلى ما يريد أن يسمو إليه.

ولكن من الأمور التي يجب أن نفكر بها جيداً عند الحديث عن هذا الأمر، هي اللغة في كوكب يوجد عليه المئات بل والالآف من اللغات واللهجات، كونها الطريق الأول لتقارب الشعوب والثقافات، كذلك يقبع في أولوية تلك الأمور الهوية؛ خاصة مع المهاجر الشرقي والعربي؛ فالهوية تعني الدين والوطن والعادات والتقاليد والقيم والضوابط التي يمليها عليه ما يعتنقه من معتقدات.

يعرف الشخص كل ذلك قبل المهجر، ولكن إن ظروفاً أخرى تجبره على أن يقبل تلك التحديات والمعوقات ويسعى لتخطيها والتعامل والتعايش معها، لذا نحن هنا بصدد تلك القضية لنصف واقعها ونضع لعملية إندماج الشرقيين في المجتمعات الغربية بعض النقاط التي تسهل عليهم الحياة الكريمة في بلاد غير بلادهم، حتى يحظوا بالتقدير والاحترام والإنجاز والدافع نحو مستقبل أمن.

لذا من الضروري أن ندمج على جانب بين اللغة واللسان كونهما أقرب وأيسر الوسائل للقيام بعملية الإندماج مع الثقافات والشعوب المختلفة عن طبيعة الشعوب الشرقية، وعلى الجانب الثاني بين الهوية والوجدان كونهما ميسرات لعملية الإندماج من احترام لدين ووطن رحل عنه الشخص لكنه يعيش في وجدانه، وكذلك تقدير لثقافة أخرى يحاول التعايش معها ويكيف وجدانه معها.

وسوف نستعرض العديد من الأسباب التي دعت الأفراد في الشعوب الشرقية للتفكير بالرحيل تحدياً للعيش في البلاد الأوروبية، ثم نعرض حجم التحديات التي تواجههم جراء هذا القرار، ونختم أخيراً بسُبل لتيسير عملية الإندماج مع الثقافات الغربية.

* **أسباب إتخاذ القرار بالهجرة إلى الغرب بين المشكلات والطموحات.**

ونُجمل بعض الأسباب في الأتي:

* **المشكلات الاقتصادية والاجتماعية:** بالطبع فمعظم طبقات الشعوب الشرقية يعانون من تدني واضح في متطلبات حياتهم، ويعيش نسبة كبيرة منهم تحت خط الفقر، رغم ما في هذه البلاد من خيرات، ولكنها لا تذهب إلى من يستحق، ولا إلى ما يستحق أن تُصرف من أجله.
* **العدل:** عدم شعور الفرد بتحقيق العدل في وطن هو إبن له يجعله يضحي بالغالي والنفيس، ليرحل إلى مكان أخر يجد فيه عدلاً وتقديراً لمكانته، وإن كان أساس العدل هي بلاد العرب والمسلمين، ولكن قد مات عمر.
* **الإرتقاء بمستوى المعيشة:** فدائماً ما ينظر الشرقيين إلى الغرب على أن مستوى معيشتهم مرتفع للغاية لذا يسعون دائماً إلى الإحتذاء بهم في ذلك، ومع صعوبة إيجاد ذلك في بلادهم تدعوهم الظروف للرحيل حيث البلاد ذات المستويات المعيشية المرتفعة، دون أى مخاوف من حجم التحديات التي تواجههم.
* **التنعم بالسلبيات التي رسخت في الأذهان نتيجة ما نُقل عن الغرب:** فالكثيرون يرون الغرب حياة منفتحة في كل أمور الحياة، ويعتقدون أنه لا يوجد ضوابط، ولأن الكثير يرغب أن يعيش بلا تحديب لأفعاله، فيفكر في الرحيل، فى نفس الوقت الذي يجهل فيه الجميع أن الغرب يتقدم علمياً، وتنتقل السلطات فيه سِلمياً.
* **التقدير وتحقيق الطموح والأحلام:** ويعاني الشباب تحديداً من عدم التقدير لإمكانياته، وعدم قدرته على تحقيق طموحاته وأحلامه، لذا يدفعه الإيمان بها إلى الرحيل.
* **التحديات بين اللغة والهوية.**

فمع التحول من بيئة وثقافة تربى الإنسان عليها وفهِمها جيداً إلى بيئة أخرى بأسس وثقافة مغايرة، فيواجهه العديد من التحديات والتي يقع في مقدمتها الدين واللغة والهوية، ويمكن إجمال تلك التحديات وتوضيحها في الأتي:

* **إختلاف الدين:** يخرج الفرد من وطن يدين بدين واحد إلى بلاد قد يجد في نفس الطابق في المسكن أُناس تتعدد دياناتهم، قد لا يكون ذلك حاجزاً أمام الغربين بعضهم البعض، لكن برغم ما يحدث سيظل ذلك في وجدان الشخص الشرقي نظراً لكون دينه هو أساس حياته.
* **حاجز اللغة:** أيضاً يجد الفرد نفسه في مجتمع تتعدد لغاته، فيكون من الصعب الإندماج في حالة الجهل وعدم المعرفة بلغة البلد التي يهاجر إليها، فإذا وُجدت اللغة ذابت معها العديد من الصعوبات التي من المؤكد أن تواجه الفرد في بلاد الغرب.
* **ترهل الهوية العربية لدى الهوائيين:** وأعني بذلك القلة التي ترحل لأجل التقليد وتمثيل المجتمعات الغربية في حياتهم، بالطبع هذا الأمر يجعل الغرب نفسه يشكو من تلك الأفعال، لأنهم شعوب عملية، لا يضيع وقتها لأجل التقليد الأعمى أو الإندماج السلبى.
* **اختلاف أنظمة التعليم والتوظيف:** فتجد تعليماً مغايراً للموطن الأصل، وأساليب توظيف أكثر عدالة، فيجد الفرد صعوبات في البداية لحين التأقلم على تلك الأوضاع المنضبطة والصارمة.
* **اختلاف الأنظمة والسياسات والقوانين الحاكمة:** فيجد الفرد عاداتاً وتقاليداً أخرى، وقوانين حاكمة وسياسات أكثر إلتزاماً من تلك التي كان يعيش فيها، وعليه إجباراً الإلتزام بها.
* **اختلاف المفاهيم الثقافية والحياة الاجتماعية:** فالثقافات الغربية التي تسعى إلى التقدم، والحياة الاجتماعية التي ترتقى معيشياً كل يوم، تجعل ذلك هدفاً أمام الشرقيين، فعند الرحيل يجدوا بعض الصعوبات لحين التعود على تلك المفاهيم والطبائع الحياتية.
* **الإنفتاح:** وهذا الأمر الذي وإن لم يسعى الشرقي إلى أخذ الحذر والحيطة فيه لوجد نفسه ضحية للتقليد الأعمى والإندماج الفاسد في تلك المجتمعات المتقدمة علمياً واجتماعياً.
* **تسفير أسلوب الحياة:** يسعى البعض لأن ينقل نمط حياته إلى حيث يرحل، ولكن ذلك في الغرب يُعد درباً من دروب الخيال، فالحياة في الغرب تُجبرك على الإلتزام بأساليبها وأنماطها، لذا يعاني من يحاولون نقل محيط حياتهم معهم إلى الغرب.
* **الإندماج بين سُبل الدعم وطموحات الشرقيين.**

فمن الطبيعي أن تجد نفسك أمام نسبة ليست بالقليلة من الراحلين إلى بلاد الغرب، لذا وبعد العرض السابق من الأسباب والتحديات كان من الضروري أن نضع بعض الحلول لمحاولة إندماج هؤلاء الشرقيين في تلك البيئات والثقافات واللسانيات الأخرى، وهي على النحو التالي:

* **ضمان الحق الأدمى:** فلابد أن تحمي الشعوب والقوميات الغربية الحقوق الأدمية للإنسان أيا كانت ثقافته ولغته وديانته وهويته، حتى يشعر بالأمن ويعمل بتناغم معهم.
* **ضمان الحق في ممارسة الشعائر الدينية والاجتماعية:** فتشعر الشعوب الشرقية بمزيد من الأمان إذا ما مارست شعائرها الدينية وطقوسها الاجتماعية بكل أمن وأمان، لذا من الضروري ضمان ذلك في بلاد الغرب حتى لا يشعر المهاجر بالإضطهاد.
* **روابط إسلامية وعربية تدعم الإندماج:** من الجيد أن تنشأ منظمات ومؤسسات اجتماعية يكون هدفها هو العمل على تيسير إندماج المهاجرين من بلادهم إلى بلاد الغرب بكل سهولة ويسر.
* **المرونة والإستيعاب والفلترة:** لابد على الشرقي أن يكون مرناً، ويعمل على إستيعاب طبائع الأمور التي تواجهه بشكل يومي في بلاد الغرب، ويفلتر تلك الأفعال وفقاً لما تقتضيه الضرورة الدينية، والقيم الأخلاقية الخاصة به.
* **التثقيف قبل الرحيل:** فلابد أن يعرف الفرد قبل الرحيل طبيعة الشعب الذي يسافر إليه ويتعلم لغته، ويتثقف ولو بالقليل عن أصول وأساسيات تلك الشعوب المهاجر إليها.
* **إزالة حاجز اللغة:** فيبدأ وهو في بلاد الغرب بتعلم لغة البلد التي يعيش فيها، وهذا ما يدعوه بكل سهولة وبمنتهى اليسر إلى مزيد من الإندماج والتداخل مع تلك الشعوب.
* **إحترام الأقليات:** قد تكون مبدأ لدى الغربين ولكن هذا لا يمنع بعض التجاوزات التي قد تحدث، لذا من الضروري وضع قوانين للأقليات في البلاد الجاذبة للهجرة حتى يشعروا بالأمان الإنساني.
* **طبيعة الشخص:** فطبيعة الفرد المسافر إلى تلك البلاد تلعب دوراً هاماً في إمكانية الإندماج من عدمه، فالشخص المرن المثقف، الذي يحمي نفسه والأخرين يكون بالطبع قادراً على تحقيق الإندماج الإيجابي مع تلك الشعوب.
* **مدى التوافق والتبادل الفكري بين الثقافات:** فنجد أن العربي إذا رحل إلى بلاد العرب يكون الإندماج مع الشعوب العربية سهل وميسر، بعكس لو كانت الهجرة إلى بلاد تتحدث لغة أخرى وتتعامل بثقافة مغايرة، فكلما توافقت الثقافات وأسلوب الحياة والعادات والتقاليد كلما تيسرت عملية الإندماج.
* **عصر التعايش:** نحن في عصر يجب فيه أن نتعايش مع كل ما هو كائن، وما سوف يكون، فيجب أن نعي تماماً التعددية الثقافية والفكرية والدينية، والتقدم التكنولوجي، حتى نستطيع أن نجابه كل التحديات، فالفرد القادر على التعايش يصبح قادراً على العيش في أي بلد تتحدث أى لغة.
* **وجود المجتمعات الدافئة:** ويقصد بها المجتمعات التي تقبل طبائع الأخرين بثقافاتهم المختلفة، فمثلاً على الغرب تقبل كرم العرب وعاداتهم وتقاليدهم ما داما لا يتنافى مع أي قانون لديهم، فإذا حدث ذلك يشعر المهاجر بالدفئ في تلك المجتمعات.
* **تطبيق الإسلام من المسلمين المهاجرين بمعناه الحقيقي:** فيجب على مسلمي الخارج نقل الصورة الحقيقية للإسلام، لغة السماحة واليسر والسلامة، لغة التقدم والتحضر، حتى يبادلهم الأخرين من أهل البلد الأصلين بالعديد من السلوكيات الإيجابية، فبالتالي يحدث إندماجاً روحياً.
* **الإلتزام والخضوع للقوانين "المواطنة الثقافية":** على المهاجر إحترام كافة القوانين للبلد التي يعيش فيها، فيجب أن يعمل على المحافظة على تلك البلاد كما هو الحال بالنسبة لشعبها الأصلى، فنجد أن هذا يحدث ترابطات قوية بين المهاجر والسكان الأصليين.
* **لابد من طرفين:** لن يحدث إندماج إلا بوجود دافع لذلك من طرفين هما المهاجر والساكن الأصلي.
* **التجنيس:** فالهوس وراء فكرة التجنيس بجنسبة أوروبية قد يدفع الكثيرين إلى تعلم كل شئ عن تلك البلد، كأنه يقنع ذاته بأنه من سكانها الأصليين، مما يؤدي إلى حدوث حالة من الذوبان مع تلك الشعوب.
* **نظرة الغربيين للشرقيين:** يتوقف الإندماج الفكري والثقافي على نظرة الساكن الأصلي للمهاجر، ومدى تعاونه معه، حيث ترسيخ شعور التقدير والإحترام المتبادل.

ووجب التلميح في هذا الجانب إلى أن الإندماج لا يُعني إزدواج الإنتماء أو الذوبان والإنصهار في الثقافات الأخرى، ولكنه يُعني أن نتعايش ونتكيف، فالإندماج لا يحدث دون تنازلات، وعلى الإنسان تقدير حجم تلك التنازلات حتى تكون ذات أضرار ضئيلة.

* **المناهج التعليمية العربية.**

أمر محزن للغاية أن تخرج من أنظمة تعليمية كل هدفها في تعلم اللغات هو حفظ مجموعة من الكلمات والجُمل فقط، دون تعلم لغة الحوار أو أي أموراً عن ثقافة تلك البلاد التي يتعلم الطلاب لغتهم.

إن تعلم اللغات المختلفة لهو الأمر الممتع للغاية، ولكن لدينا في الشرق وتحديداً الشعوب العربية يرسخ النظام التعليمي بها بأن تلك اللغات هموم تقع على كاهل الطلاب، مما يؤدي إلى نفورهم من تلك المواد الدراسية، لأنهم ينظروا إليها وكأنها أموراً ليست ضرورية.

فيجب على تلك النُظم التعليمية أن تعي تماماً أن تعلم ثقافات الشعوب الأخرى أحد أهم دعائم الدولة للتقدم نحو الأمام، وأنه يقيها شرور الأعداء، ويخرج لها جيلاً قادراً على التواصل والمشاركة والتفاعل مع البيئات والثقافات الأخرى، حتى يضمن حدوث عملية الإندماج بشكل إيجابى غير مضر.

فما بين طموحات الإندماج مع الغرب، وتحديات الهجرة والثقافات، ومعوقات وضعتها النظم التعليمية قديماً في حياة الفرد، تقبع المشكلة، فتتلخص بين اللغة والهوية في تحقيق إندماج إيجابي قادر على تحقيق الأهداف والطموحات والوصول إلى الغايات المرغوب فيها لدى المهاجر الشرقي.

وفي النهاية نستعرض سؤالاً نرغب أن نجد إجابات متعددة وليست إجابة واحدة عليه، وهو: **ماذا لو تحدث العالم لغة واحدة؟.**

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ